

أراجيز الإمام عبد الرحمن بن القاضي الواردة في كتابه الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع

The Poetic Verses of the Imam Abdrahmane Ibn El Kadi in his book
El Fadjr Essatie Wa Diyaa El Lamie in Explanation of Edorar Elawamie.



د. بن أحمد فايذة *

جامعة أبو بكر بلقايد — تلمسان —

fatza.benahmed@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/13 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03



ملخص:

يُعنى هذا الموضوع بدراسة ما تناثر من أراجيز للإمام عبد الرحمن بن القاضي في ثنايا شرحه الموسوم ب: الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع، وجمعها في قصيدة متكاملة الأركان، وتكمن أهمية الدراسة في قيمة هذه الأبيات الشعرية التي شملت جلّ أصول القراءات القرآنية وبعضاً من فرشيتها، إضافة إلى بيان مدى مساهمة هذا المتن القرائي في إثراء ما أُلّف من القصيد في المدرسة المغاربية عامّة، وفي حرف نافع على وجه أخصّ.

وقد رام البحث تحقيق جملة من الأهداف أهمّها جمع شتات هذه المادّة العلميّة النفيسة لتيسير وصول الباحثين إليها، مع الإشارة في ثنايا الشرح إلى أهمّ اختيارات هذا الإمام.

الكلمات المفتاحية: أراجيز؛ عبد الرحمن بن القاضي ؛ الفجر الساطع؛ الدرر اللوامع؛ قراءة نافع.

* المؤلف المراسل

Abstract:

This topic is concerned with the study of the scattered poetic verses of Imam Abdul-Rahman bin Al-Qadi in his explanations named El Fadjr assatie wa Diyaa El Lamie and gathering it in a one single poem. The importance of the study lies in the value of these poetry verses, which included most of the origins of the Quranic readings and some of their reading rules. In addition to indicating the extent to which this literary body has enriched what has been done in the Maghreb school in general, and Nafie reading especially.

The research envisaged the achievement of a number of objectives, the most important of which was to bring together the diaspora of this precious scientific material to facilitate researchers' access to it, while noting in the commentary the most important choices of this imam.

key words: Verses of poetry ; Abderrahmen Ibn elkadi; El fadjr ssatie; Edorar lawamie; the reading of Nafie.

مقدمة:

يعتبر القرآن الكريم معجزة الله الخالدة ولقد تكفل الله بحفظه، ورعايته الربانية، بأن قيّض له جهابذة من عباده أفنوا الأعمار في دراسة علومه واستنباط أحكامه ؛ وقد سالت محابر العلماء من مشارق الأرض ومغاربها خدمة له، تفسيراً و تلاوة وإقراءً، وفيما يتعلق بالمدرسة المغاربية؛ فلم تكن بمنأى عن هذه الجهود، خاصة بعد القرن الخامس هجري، أين انتعشت العلوم المتعلقة بالقرآن، لاسيما فن القراءات القرآنية، فأصبحت الجهود عبر العالم الإسلامي بمختلف مدارسها عبارة عن شروح وحواش ومعارضات لقصائد مغاربية رائدة في هذه المجالات، كمتن الدرر اللوامع لابن بري التّازي، وشاطبية القاسم بن فيرة وعقيلته، ومورد الإمام الخزاز وغيرها.

انطلاقاً من هذه الأهمية جاءت مداخلتي للحديث عن علم من أعلام هذه المدرسة ألا وهو؛ الإمام عبد الرحمن بن القاضي، وجهوده العلمية من خلال كتابه الفجر الساطع والمتمثلة في جمع ما تناثر من أراجيز استدرك بها علي ابن بري، أو بيّن مبهما، أو ذكر بعضاً من اختياراته وما جرى به العمل عند المغاربة في أوجه قرائية خاصة بحرف إمام المدينة نافع بن رويم، وانطلقت من إشكالية مفادها:

هل تستطيع هذه الأراجيز أن تجمع وتُصيّر قصيدة مكتملة الأركان شاملة لكل أصول القراءة؟

ولقد سلكت منهاجاً استقرائياً تحليلياً، عن طريق جرد هذه الأبيات وتقطيعها عروضياً، ومن ثمّ شرحها وتحليلها لبيان ما استغلق منها، وذلك بغية تحقيق جملة من الأهداف لعلّ أبرزها:

- إبراز جهود الإمام عبد الرحمن بن القاضي في مجال القصيد.

- فتح آفاق جديدة حول مؤلفه الشامل الموسوم بالفجر الساطع واعتمدت خطة منهجية ورّعت عليها مادتي العلمية، وقسمتها كالاتي:

المبحث الأول: التعريف بابن القاضي ومؤلفه

المطلب: 1 ترجمة ابن القاضي

المطلب: 2: التعريف بكتاب الفجر الساطع ومكانته من شروح الدرر اللوامع
المبحث الثاني: الأبيات الشعرية لابن القاضي الواردة في كتابه الفجر

الساطع

المطلب الأول: أبيات تتعلق بأحكام أدائية.

المطلب الثاني: أبيات تتعلق بأصول القراءة

المبحث الأول : التعريف بابن القاضي ومؤلفه

سأطرق في هذا المبحث إلى ترجمة مقتضبة عن صاحب الدراسة ثمّ أعرج لبيان قيمة كتابه النفيس الذي خطّه كشرح على متن الدرر اللوامع للإمام ابن بري.

المطلب الأول: ترجمة ابن القاضي.

سيكون فحوى هذا المطلب التعريف بالعلم الشهير صاحب المصنّفات والاختيارات في المدرسة المغاربية ككلّ وهو العالم التحرير عبد الرحمن بن القاضي.

هو عبد الرحمن بن أبي القاسم محمد بن محمد بن القاضي، ولد سنة 999هـ بفاس،¹ قال عن نفسه في مقدمة كتابه الإيضاح: " قال كاتبه عبد الرحمن بن القاضي المكناسي الفاسي المولد والنشأة"

أتقن الإمام فنّ القراءات القرآنيّة، وما تعلق بها من علوم فصار بذلك مقصد الطلبة من كلّ حدب وصوب من أهمّ شيوخه؛ الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري، والشيخ الفقيه عبد الواحد بن عاشر،² توفي الإمام صبيحة الأربعاء الثاني عشر من شهر رمضان، سنة 1082هـ، مخلفاً وراءه مؤلّقات رصينة أبرزها: الإيضاح لما ينبهم عن الوري في قراءة عالم أمّ القرى، بيان الخلاف والتشهير، تحقيق الكلام في قراءة الإدغام.³

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الفجر الساطع ومكانته من شروح الدرر.

في هذا المطلب سأتطرق للكتاب الذي خصّصته لهذه الدراسة مبيّنة أهميته وما قيل فيه من قبل العلماء.

الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع، هكذا صرّح المؤلف باسم كتابه،⁴ والذي يعتبر من أوسع الشروح على ابن بري، وذلك لأنّ صاحبه أحسن استغلال استفادة المتأخر من المتقدم، فكان هذا المؤلف بمثابة دائرة معارف -على حدّ تعبير الدكتور التهامي- جمعت خاصة ما أودعه المصنّفون في تواليفهم؛ قال الأستاذ سعيد أعراب في محلّ ثناء، "فالكتاب لم يترك شاذّة ولا فاذّة إلّا أحصاها، حتى أنّك لو أردت أن تقف على المصادر التي عاد إليها ابن القاضي هالك الأمر" وفي السياق نفسه قال الشيخ عبد الهادي حميتو -حفظه الله-: "إنّه شرح فريد حشد له كلّ طاقته وكاد يستوعب فيه ما ألّف في القراءة خاصّة في المدرسة المغربيّة"⁵

المبحث الثاني: الأبيات الشعرية لابن القاضي الواردة في كتابه الفجر الساطع

هذه الأبيات الشعرية التي سأذكرها لم ترد في كتاب ابن القاضي مرتبة؛ بل مبثوثة ومتفرقة، فجمعتها تحت أصل واحد، وسأحاول بيان مجراها، مع شرح لما تضمنته من أحكام.

المطلب الأول: أبيات تتعلق بمسائل أدائية.

الأبيات التي افتتحت بها القصيدة وجعلتها أولاً، هي أبيات لها مزيد تعلّق بمفاهيم أولية حول التجويد والقراءة، كمراتب القراءة، وأنواع الجمع وغيرها، لذلك عنونتها بمسائل أدائية يقول فيها الشيخ رحمه الله:

- | | | |
|----|-------------------------------|---------------------------------|
| 01 | ورتلّ لورشٍ ولقالونَ بالحدِرِ | بدا آخذُ والأمرُ جاءَ على يُسر |
| 02 | ولا يُعدُّ ماهرًا في الدِّكرِ | مُلتزمُ التَّرتيبِ فافهم وادر |
| 03 | كوثرُهم قُبيلُ قالونَ وُصفِ | كذلك في الأخذِ لديهم قد أُلِف |
| 04 | وعكسه قل جائزٌ في العملِ | دليلُهُ في الدّرِّ والحِرزِ جَل |
| 05 | ومنعوا الإهمالَ في الإزدافِ | وكرهوا التَّركيبَ بإتلافِ |
| 06 | وعيبُوا المعادَ وهو ما دَخَلَ | لدى الأداءِ حُكمُهُ بلا خَلَل |

هذه الأبيات من بحر الرجز عدا الأول من الطويل، ولم يذكرها ابن القاضي تبعاً، وإنّما جاء الأول في باب المدود، وهو يتحدث عن الترتيل و الحدر وأهم الفروقات بينهما، فذكر أنّ مذهب ورشٍ الترتيل، وقالون الحدر؛ وهذا اختيار لا نصّ فيه، وإن كان يجوز لكل واحد منها الأمران معاً تيسيراً ورفعاً للمشقة؛⁶ أما الأبيات (2،3،4) فنظمت في معرض الحديث عن جمع القراءات؛⁷ وقد جعل العلماء له أنواعاً مختلفة فمذهب الشاميّين الجمع بالوقف وهو الأكثر استحضاراً، ومذهب البصريين الجمع بالحرف، وهو أخفّ على القارئ لكنه مذهب لرونق التلاوة،⁸ فقال ابن القاضي أن الماهر ليس الجامع للقراءات مرتباً للقراء وفق ماوقته أهل هذا الفنّ، بل إن المهارة تكمن في تقديم القراء

المتفقين في المقطع المقروء، وحتى حال البدء فليس من الضرورة تقديم قالون قبل ورش،
دليله منهج صاحبي الحرز والدر في ذلك،⁹ ثم ختم هذه الجزئية ببيتين بينَ فيهما موانع
جمع القراءات القرآنية وهي إهمال وجه من الأوجه، أو التركيب والتلفيق بين الروايات
والتداخل بينها.

المطلب الثاني: أبيات تتعلق بأصول القراءة.

في هذا المطلب سأذكر أبياتا تتعلق بأصول القراءة، أما الفرش فلم أجد فيه أراجيز،
ولتنظيم العمل قسّمتها على أبواب الأصول المعروفة.

الفرع الأول: أحكام البسملة قال ابن القاضي رحمه الله عليه:

- | | | |
|----|------------------------------|----------------------------------|
| 7 | فإذا أردت حفظ هذا فزد | بعد قول أبي الحسن نقلاً |
| 8 | فنجّل سيف تركها به | تلاً عن يوسف وابن هلال عملاً |
| 9 | والحاصل انتقال ساكت إلى | بسملة كذا رواه من تلاً |
| 10 | ثم أنتقل وأصل للسكت | بدا قرأ ابن غاز خذ بالثبوت |
| 11 | ليظهر الفرار من فبح بدا | إلى الفريقين فخذة مُرشدا |
| 12 | مع التزام القطع للبسملة | من آخر وأول للعلالة |
| 13 | وزاد بعضهم ما بين القدر | ولم يكن أضافها للزهر |
| 14 | ونزل الوحي بكتب البسملة | أول كل سورة مُنزلة |
| 15 | إلا براءة فتركها حتم | في كلها وذا بتوفيق علم |
| 16 | واستظهر البرهان للمخصص | سكتاً ووصلاً كنزه فاقصصراً |
| 17 | وقال ملك لجميع قد قرأ | سكتاً ولا نص له قد ظهراً |
| 18 | واختار ظاهرًا الإمام الداني | الوصل للكل فخذ ببيان |
| 19 | حكم أجزائها كالغير قد ذكروا | وقال في الكنز بل كأول ظهراً |
| 20 | وعند اختتام الناس بسمل لكلهم | لدى الابتدا بالحمد كالكل مُسجلاً |

البيتان الأولان من بحر الكامل والرجز جاء بهما الناظم استدراكاً على من ذكر أن معنى قول ابن بري في درره {وورث الوجهان عنه نُقلاً} أنَّ الإتيان بالبسملة وعدمها رواية من طريقي عبد الصمد العتقي والأزرق،¹⁰ في حين أنَّ صاحب الدرر في متنه لم يتطرق إلا للأزرق؛ والصواب أن التَّرك جاء عن أبي بكر عبد الله بن سيف، وقال ابن هلال بالإثبات؛¹¹ أمَّا الأبيات (من 09 إلى 12) فهي أراجيزٌ ذكر ابن القاضي فيها تفرعاً أدائياً يترتب بين الأربع الزهر المعلومة،¹² وهي: البسملة لمن كان يقرأ بالسكت، والسكت لمن كان يقرأ بالوصل، أما من أثبت البسملة فكان لزاماً عليه قطع الرَّحيم بمقدمة هذه السور المفتحة بالويلات أو النَّفي.¹³

ليضيف بعدها في بيت من الكامل¹⁴ موضعاً إضافياً زائداً عن الأربع الزهر وهو سورتي القدر والبيّنة على حسب ماذكر الجعبري في الكنز¹⁵، ثمَّ ينتقل إلى الأبيات {14 إلى 18} وهي أراجيزٌ عدا البيت {14} فمن المنسرح، عن ترك البسملة في براءة سواءً أوُصلت بالأنفال أو افتتح بها،¹⁶ واختلف العلماء في كتابتها أول اللوح؛ وابن القاضي على المنع تبعاً لابن غلبون، وابن الفحام ومكي بدليل قوله: (فتركها حتمٌ في كلها) على عكس ابن رشد الذي أجاز ذلك،¹⁷ ثمَّ خصص القراء المسلمين بين السور بعدم إثباتها بين الأنفال وبراءة، كما ورد في الكنز، ليذكر بعد ذلك اختيار مكي القيسي للسكت دون نصٍّ وإنما تبعاً لما قرأ به على مشايخه، إلا أن أبا عمرو رجَّح الوصل كما فعل شيخه ابن غلبون.¹⁸

الأصل أن البيت {19} هو خاتمة أحكام البسملة¹⁹ لكنني أدرجته ههنا من باب جمع الأبيات الخاصة ببراءة مع بعضها، فهو يتطرق لموضوع البسملة عند افتتاح هذه السورة من أجزائها، فنقل الخلاف الحاصل في ذلك ورجَّح أنَّ الحكم التخيير كباقي سور الذكر الحكيم، وهو قول الجمهور؛ كالسخاوي، والخزاز والمنتوري والقيجاوي، وشدّد

صاحب الكنز فقال أن الأجزاء كالبداية لا بسملة فيها،²⁰ وانتهت الأبيات بضرورة
البسملة عند اختتام القرآن والبدء مجددا وعند افتتاح الفاتحة.²¹

الفرع الثاني: أحكام هاء الكناية والمدود: قال ابن القاضي رحمه الله تعالى:

- | | | |
|----|--|---|
| 21 | وَمَكْنِيَّ أَوْ اضْمَأْ أَوْ مُضْمَرٌ حَكْوًا | ضَمِيرٌ كَنَائِيَّةٌ بِهَاءٍ كَذَا رَوُّوا |
| 22 | بَسْطٌ وَالاعتبارُ والفصلُ نُقْلٌ | وجائزُ أسماءُ مَدِّ المُنْفَصِلِ |
| 23 | وبعضُهم لَدَى السُّكُونِ العَارِضِ | ثَلَاثَةٌ قُلْ هُوَ وَلَا تُعَارِضِ |
| 24 | واعتبر القراءُ بالإجماعِ | السَّبَبِ الأَقْوَى بلا زِنَاعِ |
| 25 | نَحْوَ رِئَاءٍ وَرَعَا أَيْدِيَهُمْ | جاءوا أَبَاهُمْ دُونَ خُلْفٍ يُفْهَمُ |
| 26 | في الوصلِ والمُتَّبَعِ بِمَا تَقَدَّرَا | بِمَدٍّ أَوْ قَصْرٍ وتوسيطٍ جَرَى |
| 27 | قَصْرٌ يُؤَاخِذُ بالإجماعِ وَوصفٌ | وعَاداً الأولى وءالان اختُلف |
| 28 | وقل عادا الأولى بقصرٍ لورشهم | بذا أخذ الأعلام وقد قاله المِلا |
| 29 | وَحُجَّةٌ إدغامٍ تنوينٌ جَرَى | بلامٍ، وَرُعِيَّ عَارِضٌ عندهم عَلا |
| 30 | بذا صرَّحَ المكِّي بكشفٍ وتبصرة | كذلك أيضاً في التنبيه لــــه |
| 31 | كافي شُريحٍ ثم تذكُّرٌ لَهُ | كذاك المفرداتُ القَصْرُ فيها تأصَّلا |
| 32 | وهادي هدايةٍ مفيدٌ وموجزٌ | وفي الاقتصاد قل والاقناع أعملا |
| 33 | في نبذٍ والاعتماد بقصرها | وللخصري الأسنى بتبيينها جَلا |
| 34 | وقد صرَّحَ الكافي وهادٍ الهداية | كجمع البَيَانِ قَصْرٌ ءالان فلتَدِرِ |
| 35 | للأزرقِ في ءالنِ سِتَّةٌ أَوْجُهٍ | على وَجْهِ إِبْدَالٍ وَصَلِهِ يَجْري |
| 36 | فمُدٌّ وثَلَثٌ ثانياً ثم وَسَطٌ | به وبِقَصْرٍ ثُمَّ بالقصرِ مع قَصْرٍ انتهَى |
| 37 | وقال في القصيدة الحُسْنِيَّةِ | المتضمنة لقراءة نافع السَّنِيَّةِ |

38 وأما تَوَاخُدُونَ وءالنِ مُكَرَّرًا بيونس في التقدير منها وفي القهر

- 39 والأولى لذي والنجم فاقّر لنافع
بها دون تمكين سُقيت حَيَا القَطْرِ
40 وفي يونس مريم والنمل غافر قل
وق مع ن جمع السر قد كـ
41 وسنقص لكم أشبعه وفي
عين سَمَا والغيزُ بالأصل يفي
42 لدى ميم الله خَفَفَ الكُلُّ
لللفظ والمدُّ اعتبارُ الأصل
43 ومدّها في العنكبوت معتبر
وخلُف ورشٍ نصُّهم به ظهر
44 وجوّز الفاسي والآلي
تخرّج توسط للكلّ قال

افتتحت هذه الأبيات بذكر النّاطم لأسماء هاء الكناية،²² في بيت من الرجز، وهذه تسمية الإمام الشّاطبي، كما يُطلق عليها أيضا اسم هاء المضمّر في اصطلاح الحُصري ومكي²³ لينتقل بعدها في الرّجز الموالي إلى أحكام المدّ وقد حوى مسائل عديدة، منها؛ أسماء المدّ، فالاعتبار يطلق على المتّصل، والفصلُ والجائزُ يطلقان على المنفصل، أمّا البيت {23} فهو رجزٌ كسابقه حُصّ للمدّ العارض وحكمه التجويديّ؛ القصر والتوسّط والطّول، وعبر بلفظ (بعضهم) للخلاف بين أهل الأداء في المد ههنا.

وبخصوص الأبيات {24 إلى 26}²⁴ فهي مختلفة الأوزان؛ من المحثّ والرجز والطّويل؛ فحواها اجتماع مدّين، مع الترجيح بالأقوى كما ذكر ابن الجزريّ بإجماع بين القراء، وهو ما صاغه ابن القاضي ههنا، وأعطى له أمثلة كاجتماع البدل مع المتصل في كلمة رثاء، والترجيح بما تقدّر من مقدار المتصل عند كلّ قارئ، وفي البيت {27} وهو منظوم على بحر المحثّ؛ خالف صاحب الفجر ابن البريّ الذي حكى الخلاف في لفظ يؤخذ باعتبارها مستثنى بدل، وتبع ابن الباذش في حكاية إجماع أهل الأداء على الاستثناء، ثم ذكر الخلاف في عادا الأولى ووالن؛ فأما موضع النجم من قوله تعالى: وأنه أهلك عادا الأولى {الآية 50 من سورة النّجم} فقد خصّه بالأبيات السّنة الموالية،²⁵ وهي مزيج من الرجز والكامل، فذكر الخلاف الحاصل في استثناءها، ورجّح الاستثناء

ووصفه "بقول الأعلام" وهم الذين ذكرهم بالأبيات كمكي في التبصرة، والكشف والتنبيه، وابن شريح في الكافي والتذكير والمفردات، والهادي لابن سفيان، والهداية للمهدوي، والحصري في القصيدة وابن الباذش في الإقناع، وكذا ابن عبد الملك في الاقتصاد والاعتماد، وقوى اختياره بالعلّة الموجبة لذلك وهي تحرك اللام بالنقل ثم إدغامها مع التنوين.

الأبيات {34 إلى 37} من بحر الكامل، فالطّويل، تحدث فيها الناظم عن أحكام الن المستفهم بها في موضعي يونس²⁶ فذكر أن صاحب الهادي والهداية والكافي وجامع البيان نصّوا على استثنائها، ومن ثمّ جرت فيها الأوجه الستة وهي:

❖ المدّ المشبع في (ء) اعتدادا بالأصل، مع ثلاثة العارض في (لان)

❖ القصر في (ء) اعتدادا بالعارض، مع القصر أيضا في (لان)

❖ التوسّط على المشهور في (ء) مع القصر والتوسط في (لان)

ومّا يلاحظ أنّ ابن القاضي لم يذكر وجه التسهيل في الأولى (ء) مع ما يترتب عنه، ثم ذكر بقيّة استثناءات البدل كما جاء في القصيدة الحُصريّة؛ وهي يواخذ، وعادا الأولى بموضع النجم، أمّا البيت {40} فهو رَجَزٌ تطرّق فيه الناظم إلى بعض السور التي حوت الأحرف المقطّعة،²⁷ ثمّ ذكر بعد ذلك الحكم التجويديّ لها في بيت من البسيط؛ فما كان من أحرف (سنقصّ لكم) ففيه الإشباع، وفي حرف العين المهمل خلفّ سما، وما بقي من حروف فعلى الأصل بقصرها،²⁸ وبخصوص الأبيات {42 إلى 44} فالأول من الكامل، والآخرا من الرّجز، وقد تحدّثت عن مذاهب القراء في فاتحة آل عمران من قوله تعالى: (ألم الله) فالحكم فيها المدّ اعتبارا للأصل، والقصر اعتبارا بالعارض،²⁹ وعن مذهب ورش أول العنكبوت من قوله تعالى: (ألم احسب) ففيها الوجهان أيضا وكلاهما جيّد، وزاد الفاسي في اللّآلئ التوسط مراعاةً للقولين.³⁰

الفرع الثالث: أحكام الهمز قال الناظم رحمه الله

- 45 واختلّفوا في النطق بالتسهيل
فقليل بالهاء بلا تفصيل
46 وقيل ممنوع على الإطلاق
وقيل في المفتوح قطُّ باق
47 وبالسوء في الصديق والنبي
معاً لدى الأحزاب يا صفّي
48 بالهمز في الوقف لقالون ورد
فاقرؤه وردّ قول من جحد
49 ولا تضع في ضبطها شداً ولا
شكلاً لفقد مدغم فيه جلاً
50 وجوده لدى النبي حتماً
شكلاً وشداً مطلقاً فرق سما
51 وما سهّلوه أو أبدلوه بوصيلهم
فحقّقوه وفقاً ثمّ بدءاً بلا امترا

البيتان الأولان من بحر الرجز، ذكر فيهما الناظم مذاهب العلماء في كيفية التسهيل، فمنهم من جوز سماع صوت الهاء فيها، وبالتقيض قالت طائفة من أهل العلم، ولابن جدادة قولٌ وسطٌ مفاده أن الهاء مسموع في المسهلة المفتوحة فقط لأنها تسهل بينها وبين الألف، ومخرج الألف والهاء واحد،³¹ أما بقية الأبيات فهي أراجيز، أخبر فيها الناظم أن ما لقالون من تسهيل الأولى إنما يكون في الوصل، أما عند الوقف تحقق الأولى قولاً واحداً، وهو ما أفاده البيت الأخير الذي جاء على وزن الطويل.³²

الفرع الرابع: أحكام النقل قال ابن القاضي رحمه الله

- 52 وفي نحو قالوا الآن تحذف واؤها
من اللفظ إجماعاً لورشٍ فخصّصاً
53 وكذا ما يعني يئونس قد أتى
إذا الأرض أيضاً حيث جاءك مُسجلاً
54 ومن قال غيرَ ذا فليس موقفاً
وخالف أهل العلم بل كلُّ من تالاً

هذه أبيات للناظم من بحر الطويل ذكر ما قد يتبادر للذهن من إثبات حرف المدّ بعد تحرّك الساكن بعده بسبب النقل، وأعطى أمثلة لذلك مثل چتّ تّ تّ تّ چ {سورة الإنشقاق} ومعلوم أن حرف المدّ لا يثبت لأنّ حركة اللام عارضة، وليس الإثبات مذهب القراء، بل إن أبا داود حكى الإجماع على الحذف.³³

الفرع الخامس: أحكام الإدغام قال الناظم رحمه الله

- 63 ألا أيها الحُبُّ المَعْلَم للورى
وموضح حلّ المشكلات مع النّقل
- 64 فما أحزفُ في الذّكر جاءت بمالّة
على نسقٍ أعني ثلاثاً بلا فصل
- 65 وهذا شهيرٌ في الرّواية ثابت
وينكره من كان في الباع قصرا
- 66 ويعرفه أهلُ الدّراية والفضل
أجيبوا جُزيتم بالكرامة والجزل
- 67 جوابكم عند الأئمة قد جرى
بكلّ كتابٍ بيّن واضح التّقـل
- 68 هذا سُؤالٌ في رءا قد رأيتُهُ
بحيث أتى في الذّكر عن ورشٍ العدل
- 69 لهذا الألف واليا والهمز قبله
لزومان في الرا للتجانس عن سهل
- 70 بهذا صرّح مكّي والداني وغيرهم
وفي الكنز والتوجيه يُنبئك بالأصل
- 71 وقف على النهار بالإشباع
مع الإمالة بلا نزاع
- 72 مُراعياً للاعتدالَ بهما
نظيره باب استفهامٍ فاعلماً
- 73 ذاك طالّ جا وردّ
والوقف بالإشباع عنهم مُعتمد
- 74 ومن يقف بالقصر فالإمالة
واجبة للكسر لا محالة
- 75 من يرا إشباعه في الوقف
يلزمه بغير حُلفٍ
- 76 جنا والأقصا مع طغا الماء رُققت
في وقفهم كلّنا بوقفٍ شهرت
- البيت {62} رجزٌ، ذكر فيه الناظم لطيفةً تتعلق بباب الإمالة وهي كلّ ألف ممالّة،
فالفتحة قبلها ممالّة أيضاً، ثم تحدث بعد ذلك على طريقة الألغاز في الأبيات {63} إلى
70} وجاءت على منوال الطّويل؛ بطرحه سؤالاً عن ثلاثة أحرف مقلّلة متوالية في كلمة
واحدة، قلّ من ينتبه لها، وهذه الكلمة هي (رءا) حيث أميلت فتحة الرءاء لأجل فتحة
الهمزة والتي أميلت بدورها لإمالة الألف،³⁶ ليذكر بعد ذلك أراجيزاً بدءاً من الأبيات
{71} إلى غاية {75} تطرّق فيها إلى مذهب الوقف بالإشباع والإمالة في لفظ (النّهار
وشبهه)؛ رعيّاً للسكون مع تقليل النهار مراعاةً للكسر، وذلك في المشهور عن ورشٍ،
والحكم نفسه لمن وقف بالروم-وهو المعبر عنه بالقصر، فالإمالة باقية لبقاء جزء من

الكسرة،³⁷ وختم الحديث برجز بيّن فيه إثبات التقليل وقفا، فيما امتنع فيه هذا الأصل في حال الوصل لالتقاء الساكنين نحو: طغا الماء، جنا الجنّتين.

الفرع الثامن: أحكام الرّاءات: قال الناظم رحمه الله

- | | | |
|----|--------------------------------|----------------------------------|
| 77 | والوصلُ في فرقٍ بترقيق شُهر | والوقفُ بالتّفخيم للكلِّ ذُكر |
| 78 | نصَّ عليه الدّاني في الإبانة | حجّته السُّكُونُ حُدُّ بُرهـانـه |
| 79 | ولم أجـدْ نصًّا لأهل فاس | كيف روّوا لنا بلا التّيسـاس |
| 80 | والظّاهرُ التّريقُ عندهم جرى | كذا حكاه بعضُ من تأخّـرا |
| 81 | نحوُ القرى ذكرى لورشٍ رُققت | نُصوصُها في مفرد الدّان بدت |
| 82 | ورقّق الفراء راء القِطـر | في حالة الوصلِ لأجلِ الكسـر |
| 83 | والوقفُ بالتّفخيم والطاء يرى | عند جميعهم هذا الدّان قـرا |
| 84 | وراء شرر في الوقف رُقّق ورشهم | وقالون بالتّفخيم حقًّا بلا نـكر |
| 85 | ونقل الإجماع في النّشـر على | بتفخيم لفظ الله عن ورش جـلا |
| 86 | بُعَيْدَ مُرَقِّقٍ يُخـصّصُ | نحوُ لذكرِ الله جاء النّـصّ |
| 87 | عن غير واحد بدا قد أعلموا | كابن شريح قال الكلُّ فـخـموا |
| 88 | ونقل التّفخيم نجلُ شامة | نصَّ عليه قُلُه لا مـلامـه |
| 89 | وأخذ القيجاطي بالتّريق | وبالغ الإنكار بالتحقيق |
| 90 | خطأً نجلُ شامة فيما ذُكر | ونقل مجرّاد بلفظٍ قد ظهـر |
| 91 | ولم أقف فيها على نصٍّ لهم | والظّاهرُ التّريقُ فافهم حُكمهم |
| 92 | ونصّـه في تحفة المنافع | أستاذنا الفخّارُ نعم الخاشـع |
| 93 | وإن أتى بُعَيْدَ راءٍ مرَقَّقا | بضمٍ أو فتّـحٍ فرقٍ مُطلقا |

الآبيات الأربعة الأولى أراجيزٌ، عدا الثاني فمن الخفيف، ذكر فيها ابن القاضي حكم لفظ فرق بسورة الشعراء، في قوله تعالى فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ {63 من الشعراء} فالترقيق مشهور في الوصل لأجل كسرة القاف، أمّا حال الوقف ففيها خلّف، والملاحظ أن صاحب الفجر أغفل التّريق ورجّح التفخيم، باعتباره المنصوص عليه في الإبانة، وكذا جامع البيان وبه قال المالقي ومكي، ثمّ ذكر انعدام النص عند أهل فاس في هذه الجزئية، لكنّه حكى التّريق تبعاً لبعض من تأخر؛ ويقصد بهم المجاصي، والوارثيني،³⁸ ثمّ ذكر في البيت الموالي {81} الذي جاء على البحر نفسه حكم الرّاء التي حثّها التقليل لكن فتحت لأجل السّاكن بعدها نحو (ذكرى الدار، القرى التي) وهذا الباب ذكره الشاطبي وابن بري في أصل الإمالة لترادف التّريق والتقليل عندهما، إلّا أنّ صاحب الفجر خالفهما، وجاء به مع أصول الرّاء وقطع بالتّريق، ليختم الناظم حديثه بحكم (عين القطر) الواردة في قوله تعالى وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ 12 من سبأ} برجز {البيت 82} فقال بالتّريق وصلا لعلّة الكسر، وعند الوقف رجّح ابن القاضي التّفخيم وسكت عن الوجه الثاني، فعلم أنّه مرجوح عنده، تبعاً لما قرأ به الدّاني على مشايخه، لتختتم هذه الجزئية ببيت من بحر الطويل عُيِي بحال الرّاء في كلمة (بشر) فالحكم أنّها ترقق في الحالين لورش لأجل المناسبة، وقالون على التّفخيم.³⁹

الفرع التاسع: أحكام لامات في لفظ الجلالة: قال الناظم رحمه الله

- | | | |
|----|----------------------------|-------------------------|
| 94 | سكون وروم ثمّ الإشمام بعده | وحذف وإبدال لنافعهم قفا |
| 95 | والوقف للقراء عند الناس | عدّته تسع بلا التباس |
| 96 | سكون الروم كذا الإشمام | والنقل والبذل والإدغام |
| 97 | والحنف والإثبات واللاحق | جميعها قال به الحذائق |

- 98 ولا يجـوز الروم في يومئذ ونحوه كذلك في حينئذ
99 حجـته سكونه أصلي كذا حكاة الماهر الداني
100 وفي جـوارٍ وغواشٍ شائع عند الأئمة بلا منازع
101 إذ كسـره ليس بعارض فقد ظهر فرقه هـديت للرشد

هذه الأبيات من بحر الرجز - عدا البيتين 88 و 89 فعلى الخفيف والسريع - ذكر فيها ابن القاضي أحكام لام الجلالة، فحكى التفخيم فيما سبق بمترق نحو: (دَكُرَ الله. أضلَّ الله) وبه قال صاحب النشر، وابن شريح وغير واحد من أئمة الإقراء، وشدَّ القيجاطي بتريق لام الجلالة إن جاءت بعد مَرَّق نحو (أَغْيَرَ الله) وخطأً أعلاماً مثل أبي شامة والمجراد، وقال أن النصَّ معدومٌ ههنا فأعمل القياس واللغة، إلا أن الفخار ردَّ عليه بأبيات طويلة تبين خطأ دعواه، وختم ابن القاضي المسألة بترجيح التفخيم وإبطال مذهب القيجاطي.⁴⁰

الفرع العاشر: أحكام الوقف على أواخر الكلم: قال الناظم رحمه الله

- 102 مَاءٌ يُحْيِي ثُمَّ قَأَوْوا وشبهه بإثبات حرف اللين في الوقف قد جلا
103 وحذف الواو بلا امتراء لدا نسو الله عمن الفراء
104 فقف على مذهبه بالحذف متبعا للرسم دون خلص ف
105 في مقنع الإمام بأن حذفه والوقف في كنز المعاني نصه
106 وقف بالياء في ورشهم اللاء وأهز لقألون بلا امترا
107 وفي نحو سيء الضم والإمالة والروم والإشمام ع المقسالة

البيت الأول من الكامل، ذكر فيه التآظم أنواع الوقف الخمسة وهي؛ السكون على الأصل، والروم والإشمام؛ والأول إضعاف للحركة والثاني إشارة بالشفاء، ثم الحذف في هاء الضمير والميم، ثم الإبدال في المنون، هذا باعتبار قراءة نافع، ثم نظم في الأبيات الثلاثة الموالية أراجيزاً، لبقية الأقسام المتشعبة عند باقي القراء وهي النقل واللاحاق والإثبات، وقد استسقى هذا التقسيم من صاحب الإتقان، ليحدثنا بعد ذلك في الأبيات {98 إلى 101} التي جاءت مزيجاً من الرجز والسريع، عن موانع الروم؛ وهي في نحو: يومئذ لوجود الكسرة العارضة، كما علل ذلك الداني، أما لفظ (غواش) ونحوه فالروم والإشمام فيه شائع لأن التنوين دخل على متحرك.⁴¹ ثم عقب ابن القاضي بيت من بحر الرجز على ابن بري إذ حث قارئ القرآن باتباع سنن الرسم في الوقف، فذكر أنه يستثنى من هذه القاعدة؛ المحذوف من الرسم نحو: ماء، يستحيي وشبهه مما كرهوا فيه اجتماع صورتين، وفي الأبيات {103 إلى 105} وقد جاءت منظومة على محور شعرية مختلفة كالرجز والمجثث، ساق ابن القاضي رواية أوردها الداني نقلاً عن الفراء، مفادها أن لفظ {نسوا الله} في آية الحشر من قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {الآية 19 من سورة الحشر} جاء محذوف الواو، ونقلها الجعبري كذلك فأكد على الوقف وفقاً لما روي،⁴² وكان هذا من أوهامه رحمه الله وهو الخبير في علم الرسم، فهذه الرواية باطلة غير موجودة في مصاحف الأمصار وقد حكم الداني عليها بالبطلان في مقنعه،⁴³ ليختم بعد ذلك بذكر الخلف بين راويي نافع في كلمة (اللائي) فورش بإثبات الياء وقفا وقالون بالهمز مع حذفها، ثم لخص بيت من بحر الطويل ما جاء في لفظ (سبي) فعبر بالضم والإمالة والروم والإشمام؛ وكان يقصد حكم الإشمام حيث عبر عنه العلماء بهذه الألفاظ كما ذكر الفاسي في لآله⁴⁴ وكانت هذه المسألة خلاصة الأراجيز المذكورة لصاحب الفجر.

خاتمة:

كتاب الفجر الساطع سفر عظيم في قراءة المغاربة، جمع عصارة آراء المتقدمين وصولاً لم⁴⁵ ولّفه، كما حوى لطائف ونتاجاً في فنون شتى، وقد خصّصت في هذه الدراسة الأراجيز المتفرقة التي ذكرها ابن القاضي في كتابه إماماً مستدركا على رأي علمي أو موضحاً مسألة معينة، فجمعتها ثم رتبها وفق أبواب الأصول المعروفة في فنّ القراءات القرآنية وما اتصل بها من علوم، ومن النتائج التي يمكن إجمالها في هذا الموضوع:

* يستدرك ابن القاضي على المخالفين له بكلّ أدب ووقار، فلا يكاد الباحث يستنبط الاستدراك إلا بعد قراءة وفحص دقيق للمسائل.

* كانت أغلبية الأبيات الشعرية من بحر الرجز، إلا في حالات يسيرة جنح فيها الناظم إلى بحر الطويل، أو السريع أو الخفيف، وقد أشرت إلى ذلك كلما خرج عن وزن الرجز.

* الكتاب مرتع خصب للباحثين لاستخراج الأسئلة التي يثيرها ابن القاضي في مسائل القراءات، وتنبهه لبعض السجلات العلمية؛ لاسيما تلك التي وقعت بين العلمين الداني والقيسي، لذلك أهيب بالباحثين الوقوف على هذه المسائل العلمية التي لازالت بحاجة لمزيد بحث.

الهوامش:

¹ محمد بن إدريس الكتاني، سلوة الانفاس ومحاذئة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة، المملكة المغربية، ط1، 2004/1425، ج2، ص: 252.

² محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في تراجم المالكية، تح: محمد عبد الله وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1434/1، 2003، ج1، 451.

³ محمد القادري، نثر المائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي، دار الرباط، دط، 1977، ج2، ص: 196.

⁴ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع، تح: أحمد بن محمد البوشيخي، مطبعة الوراق الوطنية، مراكش، ط1، 2007/1428، قسم الدراسة

⁵ عبد الهادي حيتو، قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية نهاية القرن العاشر

الهجري، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية بالمملكة المغربية، ط1، (2003/1427)، ج4، ص: 310.

⁶ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج2، ص: 37.

- ⁷ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 137.
- ⁸ جلال الدين السيوطي، الإقتان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، دط،
دت، ج: 1، ص: 102
- ⁹ حيث إن الشاطبي في الحرز قدم قالون، وخالفه ابن بري فبدأ بورش أحياناً
- ¹⁰ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج: 1، ص: 387.
- ¹¹ أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تح: خلف الشغلبي، دار الأندلس المملكة العربية السعودية،
ط 1، 1436/2015، ص: 18 / إبراهيم الجعبري، جميلة أرباب المراسد في شرح عقيلة أتراب القصائد، تح: محمد إلياس
أنور، برنامج الكراسي البحثية بجامعة طيبة، ط 1438، 1/2017، ص: 65
- ¹² محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج: 1،
ص: 161
- ¹³ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج: 1، ص: 391
- ¹⁴ إبراهيم الجعبري، كنز المعاني، ج: 1، ص: 231
- ¹⁵ المصدر السابق، ج: 1، ص: 397.
- ¹⁶ محمد بن الجزري، ج: 1، ص: 264 / ابن رشد، البيان والتحصيل، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، لبنان، ط 2، 1408/1988، ج: 17، ص: 35
- ¹⁷ إبراهيم الجعبري، كنز المعاني، ج: 1، ص: 265 / مكّي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تح: محيي
الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1494/1774، ج: 1، ص: 21 / محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح:
محمد البواب، دار المعارف، الرياض، ط 1، 1405/1989، ص: 265.
- ¹⁸ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج: 1، ص: 471
- ¹⁹ المصدر نفسه، ج: 1، ص: 471 / محمد بن الجزري، النشر، ج: 1، ص: 249 / إبراهيم الجعبري، الكنز، ج: 1، ص: 298 /
علي السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، تح: محمد العطية، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1418/1997، ج: 2، ص:
480 / محمد المنتوري، شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، تح: الصديقي سفوزي، ط 1، 1421/2001،
ص: 133
- ²⁰ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج: 1، ص: 407
- ²¹ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 27
- ²² ابن الجزري، النشر، ج: 1، ص: 124.
- ²³ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج: 2، ص: 120-161-181.
- ²⁴ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 221 / أحمد بن الباذش، الاقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، مطبوعات جامعة ام
القرّة، مكّة، ط 1، 1403، ج: 2، ص: 473
- ²⁵ عبد الرحمن بن القاضي، الفجر الساطع، ج: 2، ص: 223
- ²⁶ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 230
- ²⁷ ابن الجزري، النشر، ج: 1، ص: 355

- ²⁸ المصدر السابق، ج2، ص:270
- ²⁹ المصدر السابق، ج2، ص:293/ أبو شامة المقدسي، ابراز المعاني من حرز المعاني، ت: محمد جادو، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1413، ص:122
- ³⁰ مكّي القيسي، التبصرة في القراءات، ص:70/ أبو عبد الله الفاسي، اللآلئ الفريدة، ت: عبد الرزاق بن موسى، مكتبة رشد، الرياض، ط1، 2005/1426، ج1، ص: 95
- ³¹ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج2، ص:315 / أبو عمرو الداني، التيسير، ج2، ص:265 / الجعبري، كنز المعاني، ج1، ص:165
- ³² ابن القاضي، الفجر الساطع، ج2، ص:387. / ابن الباذش، الإقناع، ج1، ص:397.
- ³³ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج2، ص:471 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:36
- ³⁴ المصدر نفسه، ج3، ص: 03-42-69 / المصدر نفسه، ص: 56
- ³⁵ المصدر نفسه، ج3، ص: 126-147-154 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:93 / الفاسي، اللآلئ، ص:125
- ³⁶ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج3، ص:164-175 / ابن الباذش، الإقناع، ج1، ص:273 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:47.
- ³⁷ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج3، ص:305 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:57.
- ³⁸ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج3، ص:386 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:56 / مكّي القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، ت: عبد الفتاح شلي، دار نخضة مصر، القاهرة، دط، دت، ص:121
- ³⁹ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج3، ص:397-404 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:57 / ابن الجزري، النشر، ج2، ص:100
- ⁴⁰ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج3، ص:444 / ابن الباذش، الإقناع، ج1، ص:33 / ابن الجزري، النشر، ج2، ص:171.
- ⁴¹ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج3، ص:444، ج04، ص:07/ السيوطي، الإقناع، ج1، ص:89 / أبو عمرو الداني، التيسير، ص:80
- ⁴² ابن القاضي، الفجر الساطع، ج04، ص: 20-34-165
- ⁴³ أبو عمرو الداني، المقنع في معرفة مرسوم المصاحف، ت: نورة حميد، دار التدمرية، الرياض، ط1، 2010/1431، ص:329
- ⁴⁴ المصدر نفسه، ج04، ص: 98 / أبو عمرو الداني، المقنع في معرفة مرسوم المصاحف، ص:165
- ⁴⁵ ابن القاضي، الفجر الساطع، ج04، ص:98 / الفاسي، اللآلئ الفريدة، ج2، ص:365